

ويليام شكسبير ومصادر مسرحياته

الدكتور يوسف شاهين

(كلية فنون الأداء ، جامعة المنارة ، البريد الإلكتروني: yousef.shsheen@manara.edu.sy)

الملخص

من المعروف أن الشاعر والكاتب المسرحي الإنكليزي ويليام شكسبير لم يبتكر معظم موضوعات مسرحياته، بل استمدّها من أعمال كُتّاب آخرين، نثرية وشعرية، ومن حكايات شعبية شائعة، ومخطوطات وكتب توثق الأحداث التاريخية، وأعاد كتابتها وصياغتها بأسلوبه الشعري والدرامي الفريد. لم يخالف شكسبير العُرف في التأليف المسرحي السائد في زمانه عندما لم يتردد في الاستعانة بالقصص والأحداث والشخوص التي أثارت اهتمامه وخدمت أغراضه الفنية والفكرية، وأعاد إنتاجها والإضافة عليها، وأحياناً بدّلها تبديلاً كاملاً، وقدمها في قالب شعري ودرامي وفكري متميّز ومتفرد. يقدم هذا البحث عرضاً مختصراً لأهم مصادر شكسبير الأصلية، ويعرض، من خلال دراسة تحليلية مقارنة لمسرحية "كما تشاء" ومصادرها الرئيسية، علاقة شكسبير بمصادره والظروف المادية والتاريخية التي كتب فيها مسرحياته وقدمها على المسرح.

كلمات مفتاحية - شكسبير، المصادر المسرحية، مسرحية كما تشاء، رواية روزاليند، حكاية غاميلين.

1. مقدمة

من هو ويليام شكسبير؟

يعتبر ويليام شكسبير أحد أعظم الكتاب في اللغة الإنجليزية. وُلِدَ في 23 أبريل 1564 في ستراتفورد أبون أفون - Stratford-Upon-Avon، وتوفي عام 1616. هو الابن الأكبر لجون شكسبير، وهو شخصية محلية رفيعة المستوى وكان يملك تجارة مزدهرة في صناعة القفازات، ووالدته ماري أردن، ابنة مزارع ثري. لا توجد سجلات لتعليم ويليام، ولكن من المحتمل أنه ذهب إلى مدرسة كينجز الجديدة - مدرسة قواعد ستراتفورد ذات السمعة الطيبة حيث تعلم اللاتينية واليونانية واللاهوت والبلاغة، وقد يكون شاهد أيضاً مسرحيات لفرق مسرحية جواله في ستراتفورد في ستينات وسبعينات القرن الخامس عشر. في سن 18، تزوج ويليام من آن هاثاواي، وأنجب الزوجان ثلاثة أطفال خلال السنوات القليلة التالية.

خلال حياته، عمل شكسبير بشكل أساسي ك ممثل وكاتب مسرحي رئيسي للفرقة المسرحية التي كانت تدعى "فرقة رجال اللورد

تشامبرلين"، التي حققت من الشهرة والنجاح ما مكنها من بناء مسرح "الغلوب" الشهير عام 1599، الذي أُعيد بناؤه وافتتاحه في نفس المكان على نهر التايمز في لندن عام 1997. أطلق الملك جيمس الأول بعد توليه لعرش إنكلترا عام 1603 على الفرقة المسرحية اسم فرقة "رجال الملك". كتب شكسبير خلال حياته 37 مسرحية و 154 سوناتا. على الرغم من مضي أكثر من أربعمئة عام على نشاطه المسرحي، إلا أن ويليام شكسبير لا يزال أحد أبرز الكتاب المسرحيين في العالم. يستمر عدد لا يحصى من المهرجانات ومعاهد التدريب المسرحي والمواسم المسرحية في إنتاج أعمال ويليام شكسبير الرئيسية للمسرح عاماً بعد عام. بالإضافة إلى ذلك، تستمر الجامعات ومعاهد التعليم العالي وفنون الأداء في تدريس مسرحياته مما يمثل ظاهرة فريدة من نوعها لقدرة كاتب مسرحي واحد على الحفاظ على هذه الشعبية والأهمية على مر القرون. غالباً ما يُنسب إلى ويليام شكسبير تأثيره العميق على اللغة والأدب والمسرح وعناصر الثقافة الأخرى. أكد المؤرخون أن هذا

التأثير ترسخ بعد أن تم تداول "الفوليو الأول" "The First Folio"، وهو المجلد الأول لمسرحياته التي نُشرت بعد وفاته.

على الرغم من أن ويليام شكسبير يعتبر أعظم كاتب مسرحي في كل العصور، إلا أن الكثير من الإطار العام لمسرحياته لم يكن في الأصل من بنات أفكاره فقط، ولكنه نسجها على منوال أعمال عدد كبير من المؤلفين السابقين له. من المعروف أن شكسبير كتب معظم مسرحياته استناداً إلى عدد من القصص والحكايات، منها المكتوب ومنها المستحضر من الذاكرة الثقافية الشفاهية لعصره والعصور التي سبقتة. يجب أن ننوه هنا أن تحديد وتسمية الكثير من هذه المصادر تستند إلى افتراضات الباحثين المتخصصين، لأنه لا توجد طريقة لإثبات أي عمل أو حكاية أو نص أدبي، نثراً أو شعراً، اتكاً عليه شكسبير بالفعل. لذلك، فإن المصادر الوحيدة المذكورة لمسرحيات شكسبير هي في الغالب تلك التي كُتبت قبل أو أثناء حياته، وتلك التي كانت معروفة لشريحة كبيرة من الناس في المجتمع الذي عاش فيه.

أخذ شكسبير في مسرحياته بعض خطوط الحكبات الدرامية من مصادر مختلفة وحولها إلى مسرحيات فريدة خاصة به. في هذا الإطار، قام شكسبير بالعمل على تحويل وتعديل المصادر التي استند إليها، بإضافة حكايات درامية جديدة أو إضافة أو حذف شخصيات معينة، وأعطى للشخصيات وصفاً وأبعاداً درامية جديدة، وأضاف مشاهد جديدة تخدم غرضه وأفكاره، من ضمنها مشاهد الترويح الكوميدي "Comic Relief". على الرغم من أن شكسبير استند إلى مصادر متعددة في كتابة المسرحية الواحدة، والقليل منها مأخوذ أو مستلهم من مصدر رئيسي واحد، لكن يبقى أن أحد العوامل المتغيرة وغير الثابتة هو عدد المصادر التي استخدمها شكسبير في كل مسرحية من مسرحياته.

كان المسرح في الفترة التي عاش فيها ويليام شكسبير وابتكر مسرحياته مختلفاً نوعياً عن المسرح في عصرنا هذا. أحد الفروق الرئيسية هو حقيقة أن الذكور كانوا يلعبون جميع الأدوار والشخصيات بما في ذلك أدوار النساء. في زمن ويليام شكسبير، كان يُنظر إلى فكرة عمل المرأة كممثلة بأنه مبتذل، وكان مصطلح "ممثلة" لسنوات عديدة ليس أكثر من مجرد تعبير ملطف لكلمة "عاهرة" (بولارد 13). نظر العديد من المتدينين البيوريتانيين

للمسرح على أنه مليء بالزنى والنساء ذوات الأخلاق السائبة والمنحلة، ومرتع للسلوك البذيء والفساد. في الواقع، في زمن شكسبير، حذر المناهضون للمسرح من أن المسرحيات عموماً يمكن أن "تستغل قوتها اللفظية ومتعتها الجمالية من أجل إغواء المشاهدين لارتكاب المعاصي" (بولارد 20). وتوجهوا للنساء على وجه الخصوص لتحذيرهم من "الانحلال الجنسي في المسرحيات والخطر على العفة الذي يمكن أن ينتج عن ارتياد المسارح" (بولارد 20).

على الرغم من هذه القيود المتزمتة، ابتكر ويليام شكسبير بعضاً من أكثر الشخصيات النسائية إقناعاً وإمتاعاً في المسرح - شخصيات أنثوية كاملة وثلاثية الأبعاد مثل روزاليند، في مسرحيته الكوميدية "كما تشاء"، وبورشيا، في مسرحية "تاجر البندقية"، وديديمونة، في التراجيديا الشهيرة "عطيل". لذلك، فإن تأثير أعماله على المسرح المعاصر واضح وبقوة من خلال مساهمة شخصياته النسائية في التحرر الثقافي للمرأة بما يتجاوز أدوارها الدرامية. إن شخصية الليدي ماكبث لا تزال واحدة من أكثر الشخصيات النسائية الرائعة والمعقدة في التاريخ المسرحي - امرأة متعطشة للسلطة بلا خجل، وطموحة إلى الحد الذي يدفعها طموحها لأن تتجاوز بموجبها، ليس فقط التزامها تجاه زوجها ماكبث، ولكن أيضاً خوفها من المجتمع والانتقام الاجتماعي.

شهد المسرح، على وجه الخصوص، العديد من التغييرات والتطورات بسبب تأثير شكسبير ووفنه الإبداعي المسرحي. على سبيل المثال، ساعدت الطريقة التي تطور بها شكسبير الحبكة الدرامية في تطوير الكتابة المسرحية الحديثة. وبالمثل، أدت شخصيات شكسبير المركبة والمعقدة إلى ظهور نوع جديد من السرد، وبناء الحبكة الدرامية وأسلوب تطورها باتجاه الذروة، وفق ما تمليه الخيارات التي تواجهها الشخصيات، والقرارات المصيرية التي تتخذها حيالها. نتيجة لذلك، تكون رحلة الشخصيات في مسرحياته ديناميكية وملينة بالحيوية، وتخضع خلالها شخصياته لقدر كبير من التغيير أثناء قيامهم بهذه الرحلة المتخيلة. بالإضافة إلى ذلك، يُنسب إلى شكسبير أيضاً أنه اخترع أنواعاً مسرحية جديدة تمزج بين المأساة والكوميديا، وبالتالي ساهمت أعماله التي طوّرت وطوّعت النوع المسرحي (تراجيدي أو كوميدي) في إبداع وتقديم

من المسرحيات، ونشر العديد من السونيتات، وتمكن بفضل نجاحاته هذه من شراء New Place، ثاني أكبر منزل في ستراتفورد، عام 1597.

أقرّ بن جونسون، الشاعر والكاتب المسرحي والناقد الأدبي المعاصر لشكسبير والمعروف بمذهبه الكلاسيكي في المسرح، أنه لا يوجد منافس لشكسبير في كتابة الكوميديا بين الكتاب الكلاسيكيين، وأنه يساوي القدماء في المأساة أيضاً. لكن جونسون نفسه انتقد شكسبير في أنه لا يتمتع إلا بمستوى متوسط من المعرفة باللغات الكلاسيكية، وبالتالي انتقد تجاهله للقواعد الكلاسيكية للكتابة المسرحية التي حددها أرسطو في كتابه "فن الشعر". واستمرت هذه الرؤية لشكسبير ومسرحه مسيطرة على النقد الأدبي في القرن السابع عشر أيضاً. في هذا السياق، وعلى الرغم من إدانة شكسبير بعدم اتباعه لتعاليم أرسطو الكلاسيكية في المسرح، وجد الشاعر والناقد الإنكليزي جون درايدن في مقالته "Of Dramatic Poesie" (1668)، أن شكسبير يستحق الثناء والتقدير فهو، برأي درايدن طبعاً، "كتب لعصر جاهل ولجمهور ضعيف التعليم... كان عبقرياً محلياً، غير متعلم، وكانت مسرحياته بحاجة إلى إعادة كتابة شاملة لإزالة الشوائب التي علقت بأسلوبها المبتذل في كثير من الأحيان". وفي الواقع، إن معظم عروض مسرحيات شكسبير على مسارح لندن خلال هذه الفترة (النصف الثاني من القرن السابع عشر)، أعادت كتابة النصوص الشكسبيرية لجعلها تلتزم بقواعد المسرح الكلاسيكي كما عرّفه أرسطو، وكذلك، على مستوى اللغة والمفردات، لتصبح أكثر نقاءً وتهذيباً.

III. مصادر شكسبير الرئيسية:

كان شكسبير قارئاً جيداً واثكاً على مجموعة واسعة من النصوص في مسرحياته، لم تكن كلها مكتوبة بلغته الأم، مثل الوثائق والسير التاريخية إضافة إلى النصوص الكلاسيكية القديمة والقصص المروية. من الصعب إثبات وجود صلة مباشرة بين مسرحيات شكسبير ومصادره الأصلية، لكن هناك عدد من الكتاب الذين عاد شكسبير إلى كتاباتهم مراراً وتكراراً، وطوّعها لتخدم أغراضه الفنية والفكرية والفلسفية، مما يسمح لنا أن نطلق عليها اسم مجموعة المصادر الرئيسية لشكسبير وتتضمن:

تجارب جديدة تماماً في المسرح بشكل عام. لم يستطع أي كاتب مسرحي قبله أن يكون محل إجماع الجماهير عليه كما هو حال شكسبير. غالباً ما كانت مسرحياته مشبعة بالحقائق المطلقة للوجود البشري، بدلاً من أن تكون مجرد مرآة للحياة المعاصرة بتفاصيلها وتناقضاتها. اتخذت تجربة مسرحيات شكسبير في المسرح في العصر الإليزابيثي صفة "الشعبية" بمعناها الإيجابي، إذ غالباً ما كان الجمهور يتفاعل مع الأحداث التي تجري على خشبة، وأصبح مشاركاً بالعرض من خلال بعض التعليقات التي يطلقها من هنا وهناك أثناء العرض لدرجة أنه في بعض الأحيان قد يصعب التفريق بين بعض أفراد الجمهور وبعض أعضاء الفرقة المسرحية التي تؤدي العمل على خشبة.

II. بدايات شكسبير وشهرته:

بين عامي 1590 و1613، كتب شكسبير ما لا يقل عن 37 مسرحية وتعاون مع كُتّاب آخرين معاصرين له على كتابة عدة مسرحيات أخرى. الذي نعرفه من الوثائق التاريخية المتوفرة أنه وبحلول عام 1592 كان قد قام بتأليف إحدى عشرة مسرحية، وكانت مسرحياته ناجحة: كانت مبيعات شباك التذاكر حوالي 16 جنيهاً ونصف من العرض الأول لمسرحية "هنري السادس، الجزء الأول" التي عرضت في مسرح "الوردة" "The Rose" عام 1592، وهي أعلى نسبة سجلت لذلك الموسم. بحلول عام 1592، كان شكسبير معروفاً بما يكفي ككاتب وممثل ليتم توجيه سهام النقد عليه من بعض معاصريه، وتم ذكره بالاسم للمرة الأولى من قبل منافسه الغيور الكاتب المسرحي روبرت جرين Robert Greene الذي اعتبره "غراباً ومُدّعياً" و "Johannes Factotum"، "جوني الذي يفعل كل شيء" أو بمعنى آخر "مسبّع الكارات". روبرت غرين، وهو الحاصل على الإجازة الجامعية والماجستير من جامعة كاوبريدج عامي 1580 و1583 على التوالي، قصد من ذلك الإشارة باستخفاف إلى شكسبير الممثل الذي تحوّل إلى كاتب مسرحي. تصاعد نجاح شكسبير خلال فترة التسعينات من القرن السادس عشر، وأصبح شريكاً مساهماً في فرقة رجال اللورد تشامبرلين الذين قدموا عروضهم أمام الملكة إليزابيث الأولى في مناسبات عديدة، بالإضافة إلى كتابة المزيد

1- جيوفاني بوكاتشيو Giovanni Boccaccio

أديب إيطالي كتب الشعر والنثر و نشر مجموعة قصصية بعنوان "ديكاميرون the Decameron" في منتصف القرن الرابع عشر. يُعتقد أنه كان على شكسبير أن يعمل على هذه النصوص بلغتها الإيطالية الأصلية. وهذه كانت مصدراً لكل من الأعمال التالية: العبرة بالخواتيم وسيمبلين ونبيلان من فيرونا.

2- آرثر بروك Arthur Brooke

على الرغم من أن حبكة حكاية روميو وجوليت كانت معروفة في زمن شكسبير، إلا أنه يُعتقد أن شكسبير استند بشكل أساسي إلى قصيدة بروك التي نشرت عام 1562 بعنوان "التاريخ المأساوي لروميوس وجوليت"، وكانت مصدراً لمسرحية روميو وجوليت.

3- ساكسو جراماتيكيوس Saxo Grammaticus

في حوالي عام 1200 بعد الميلاد، كتب ساكسو غراماتيكيوس عمله الشهير "غيستا دانوروم Gesta Danorum" (أفعال الدنماركيين) الذي وثق فيه لتاريخ ملوك الدنمارك، وذكرت فيه قصة أملت - هاملت الحقيقي. يُعتقد أن شكسبير كان مضطراً إلى العمل على هذا النص بلغته اللاتينية الأصلية، وبالتالي هو مصدر مسرحية هاملت.

4- رفايل هولينشيد Raphael Holinshed (1529 - 1580)

يسجل عمل هولينشد الكاتب والمؤرخ الإنكليزي Holinshed's Chronicles توثيقاً هاماً لتاريخ إنجلترا واسكتلندا وإيرلندا، وأصبح المصدر الأساسي لمسرحيات شكسبير التاريخية. ومع ذلك، لم يلتزم شكسبير بالسيرة التاريخية الدقيقة للشخصيات التاريخية التي استحضرها، بل أعاد تشكيل التاريخ ورسم الشخصيات وخياراتها ومصائرهما بما يتناسب مع أغراضه الدرامية والفكرية. يمكن أن نذكر هنا أن هولينشد كان المصدر الرئيسي لكل من المسرحيات التالية: هنري الرابع (كلا الجزأين)، هنري الخامس، هنري السادس (الأجزاء الثلاثة)، هنري الثامن، ريتشارد الثاني، ريتشارد الثالث، الملك لير، ماكبث، وسيمبلين.

5- بلوتارك (45 - 125) م Plutarch

هذا المؤرخ والفيلسوف اليوناني القديم هو المصدر الرئيسي لما يعرف بـ "مسرحيات شكسبير الرومانية". ظهرت مخطوطة بلوتارك بعنوان "حياة النبلاء من الإغريق واليونان، Lives of the Noble Greeks and Romans والمعروفة أيضاً بإسم Parallel Lives حوالي عام 100 بعد الميلاد، وتحتوي على سلسلة من 48 سيرة ذاتية للقادة اليونانيين والرومان، مُرتبة في أزواج أو ثنائيات، كل زوج يتكون من شخصية يونانية واحدة وأخرى رومانية، كلاهما واجه مصيراً مماثلاً للآخر، مثل الإسكندر الأكبر ويوليوس قيصر، أو ديموستينيس وشيشرون، وذلك بهدف إلقاء الضوء على فضائل هذه الشخصيات أو إخفاقاتهم الأخلاقية المشتركة. عمل بلوتارك هذا ذو أهمية كبيرة، ليس فقط كمصدر للمعلومات حول الشخصيات المذكورة فيه وصفاتها وتاريخها، ولكن أيضاً كمصدر فريد في غناه بالمعلومات عن الفترات التاريخية التي عاشوا فيها. المسرحيات هي: أنطوني وكليوباترا وكوريولانوس ويوليوس قيصر وتيمون الأثيني.

IV. علاقة شكسبير بالمصادر: مسرحية " كما تشاء "

أن أهم ما يميز شكسبير عن غيره من الكتاب هو قدرته على أن يتخيل الطاقة الدرامية الكامنة، والاحتمالات الدرامية التي تشي بها قصة أو حكاية شعبية أسطورية، أو حتى جزء من التاريخ، ومهارته العبقريّة في تحويل هذه المواد إلى دراما متطورة ومتكاملة ومثيرة. يقول البروفيسور برينك:

"نادراً ما يستطيع الفنان الأدبي استخدام مادته الفنية بالشكل الذي تقدم به نفسها له؛ وذلك لأنها على الأغلب لا تتوافق تماماً مع الفكرة التي إما يراها فيها، أو يضيفها عليها. لذلك يمارس الشاعر (الكاتب) حقّه في تحويلها و تطويعها بما يتلاءم مع أغراضه، بمعنى آخر، بما يتناسب مع أفكاره الخاصة... إن شكسبير سيد منقطع النظر في هذا المجال... تظهر عظمتة، أكثر من أي شيء، في ذلك الحدس المعصوم الذي يمتلكه، ويتلمس من خلاله طريقه إلى العناصر الدرامية لحكاية ما، ويستجمعها معاً في كتابة درامية متكاملة".

استند شكسبير في كتابة كوميديا "كما تشاء"، في المقام الأول، إلى ثلاثة أعمال. أولاً، في حبكةها وبنيتها الدرامية الأساسية، اتبع شكسبير الرواية الرومانسية الرعوية Rosalynde، التي نشرها الكاتب الإنجليزي Thomas Lodge عام 1590. أما قصة لودج فهي مبنية هي الأخرى على حكاية غاميلين "The Tale of Gamelyn"، التي كتبها مؤلف غير معروف في منتصف القرن الرابع، وتشكل المصدر الثاني لمسرحية شكسبير. "حكاية غاميلين" وهي عبارة عن رواية عنيفة في اللغة الإنجليزية الوسطى توفر هي الأخرى مصدراً للكثير من التفاصيل والأحداث الدرامية لمسرحية شكسبير. وثالثاً، ولأن غابة أردن The Forest of Arden، كانت بمثابة الملاذ الآمن الذي تلجأ إليه الشخصيات الرئيسية، سواء في الأصول أو المسرحية، يأخذ شكسبير تفاصيله عنها من عدد لا يحصى من قصص روبن هود Robin Hood ذات الشعبية الكبيرة في إنجلترا في العصور الوسطى، وبالتالي شكلت هذه القصص المصدر الثالث للمسرحية.

تحكي رواية "روزاليند" حكاية شاب وفتاة من نسبين عريقين، فقدوا والديهما مؤخراً (الشاب توفي والده، والفتاة تتعرض للنفي من قبل عمّها)، يقعان في الحب من أول نظرة، ولكنهما سرعان ما يفترقا حيث يُجبر كل منهما (لأسبابه الخاصة) على الفرار إلى غابة أردن، حيث يوجد والد روزاليند المنفي. هناك يلتقيان مرة أخرى، ولكن وبسبب تنكّر روزاليند في هيئة صبي، يُدعى جانيميد Ganymede وترافقها ابنة الدوق المغتصب للسلطة، سيليا، بصفة أختها، لا يتعرّف عليها عشيقها روسادر Rosader. يعترف Rosader لـ Ganymede (روزاليند المتكبرة)، بحبه وهيامه بفتاة تدعى روزاليند. عندها، تقرر روزاليند/ الصبي غانيميد، أن تلعب معه لعبة يتظاهر فيها "الصبي Ganymede" بدور Rosalynde لإعطاء Rosader دروساً في التودد للفتيات لكسب حُبهن، أملاً في شفائه من حبه اليأس. وبينما تتراكم الأحداث الكوميديّة المليئة بالسخرية الدرامية وإضافة ثلاثة أزواج من العشاق، يزداد التعقيد وتتضاعف المفارقات الدرامية. تنتهي الرواية نهاية سعيدة للعشاق، وبعدها، وبمجرد ما تتصلح الأحوال في المملكة، يعود والد روزاليند الدوق المنفي، ومجموعة من

ويمكن القول أن عبقرية شكسبير لم تقتصر على استخدام المصادر وتطويعها لخدمة أغراضه الفنية، بل تجاوزتها لتشمل قدرة شكسبير على الاستخدام الأمثل لكل الظروف المحيطة بعملية إبداعه المسرحي بما فيها الفرقة المسرحية التي يعمل بها. هناك إجماع في الأبحاث العلمية المعتمدة أن الكاتب المسرحي الإنجليزي في القرن السادس عشر كان يكتب بانتظام لنفس الفرقة المسرحية، ومن المعروف أن شكسبير كان يعمل مع فرقة مسرحية واحدة منذ العام 1594، أي أنه كان يعمل مع مجموعة محددة ومعروفة من الممثلين، الأمر الذي عاد بالفائدة العظمى على كل من الممثلين والكاتب نفسه، فهو، أي شكسبير، لا بد وأن يكون مع مرور السنوات، قد أصبح على معرفة عظيمة بقدرة وإمكانات ما يمكن أن يلعبه ممثلوه على خشبة المسرح، الأمر الذي لا بد أنه كان مصدر إلهام له خلال عملية الكتابة المسرحية. يقول الباحث الإنجليزي البروفسور بيتر تومسون Peter Thomson في توصيف هذه الحالة أن شكسبير: "ابتكر الشخصية المسرحية عن طريق بناء الدور المسرحي"، و يتابع أن شكسبير لا بد وأن يكون قد راقب زملاءه الممثلين خلال عملهم وكتب شخصيات لهم من خلال فهمه لمزاجهم وأسلوبهم في التمثيل والأداء على خشبة المسرح" (تومسون، 1992، ص.82). هذه العلاقة بين عمل شكسبير ككاتب لفرقة مسرحية محددة، يعرف أعضائها وما يجيد لعبه كل واحد منهم على الخشبة، دفعت الباحث بولدوين T. W. Baldwin لتقديم نظريته "Type- Casting" حول "توزيع الأدوار حسب النوع"، والتي يقول فيها أن هناك إمكانية لتوزيع بعض الأدوار في مسرحية شكسبيرية ما على أعضاء فرقة شكسبير الذين يثبت بالبحث التاريخي الدقيق أنهم كانوا يعملون فيها في الوقت الذي كُتبت فيه المسرحية". بمعنى آخر، من كان من الممثلين يعمل في الفرقة في وقت ما، وما هي الأدوار التي اعتادوا على لعبها: البطل التراجيدي، الشاب العاشق، المهرج، الفيلسوف (المتشائم)...الخ. ولتوضيح ما ذكرناه عن علاقة شكسبير بمصادره والظروف المادية والفنية التي تمت فيها عملية كتابة مسرحياته، سنجري مقارنة تحليلية موجزة بين مسرحية شكسبير الكوميديّة "كما تشاء" مع مصادرها وظروف إنتاجها.

أصحابه إلى عالم المملكة/الحضارة، حاملين معهم فهماً أفضل لما هو مهم حقاً في الحياة.

من ناحيته، خالف شكسبير في مسرحيته "كما تشاء" القواعد التقليدية للحكاية الرومانسية، كما خالف القواعد الكلاسيكية للبناء الدرامي، وخلط بين أدوار الجنسين، والطبيعة والسياسة، في مسرحية تعكس كيف يمكن أن تكون الحياة غامضة ومحيرة ولكنها ممتعة تماماً.

في المسرحية يختصر شكسبير سنوات من الزمن غطتها الحكاية الأصلية على شكل سرد نثري طويل، ويبدأ مسرحيته مباشرة بالشجار الذي يقع بين الشقيقين أورلاندو وأوليفر. يقدم شكسبير شجاراً واحداً محدداً ونتائج، بينما عند لودج يوجد ثلاث حالات للشجار بين الشقيقين. ويُعلمنا شكسبير، كعادته في المشاهد الأولى لمسرحياته، من خلال الحوار بين الشخصيات، بالتفاصيل الهامة التي تخص الحبكة الرئيسية في المسرحية، والتي وقعت قبل بداية أحداث المسرحية ومنها قصة نفي الدوق سينيور من المملكة من قبل أخيه المغتصب الدوق فريديريك، ولجؤه إلى غابة أردن Forest of Arden مع مجموعة من اللوردات المخلصين. أما روزاليند، ابنته، فتبقى في القصر مع ابنة عمها، سيليا ابنة الدوق المغتصب فريديريك، لشدة تعلق سيليا بها. ولكن، ومع المشاهد الأولى للمسرحية، سرعان ما ينفي الدوق فريديريك "روزاليند" خوفاً من أن تشكل تهديداً لحكمه. تذهب سيليا، التي ترفض الانفصال عن ابنة عمها، مع روزاليند للبحث عن الدوق فرديناند في الغابة. من أجل سلامتهن، يقمن بالتمكر - روزاليند في دور الصبي جانيميد وسيليا كأخته ألينا - ويقنعون تاتشستون Touchstone، مهرج الدوق، على مرافقتهن. أما الشاب أورلاندو Orlando الذي يعاني من اغتصاب أخيه الأكبر Oliver لحقه في ميراث أبيه، ويعامله معاملة الخادم عنده، وعند سماعه بتفاصيل المؤامرة التي كان يخطط لها شقيقه لقتله، يهرب هو أيضاً إلى الغابة، ويلجأ إلى الدوق المنفي. ينشر أورلاندو أشعار الحب لروزاليند على أشجار الغابة، ويلتقي بالصدفة بروزاليند المتكررة في زي جانيميد. تتصدى روزاليند المتكررة لحالة المرض بالحب التي يعاني منها أورلاندو، وتقترح عليه إثبات قوة حبه من خلال التودد إلى جانيميد (الشخصية المتكررة بها) كما لو كانت روزاليند. في مكان آخر من الغابة، يزدهر الحب أيضاً وتلتقي بمزيد من الشخصيات العاشقة.

الراعي سيلفيوس يعاني هو الآخر من حب غير متبادل لفيبي، التي وقعت في حب جانيميد، بينما تطارد Touchstone (المهرج) راعية قطيع الماعز أودري. أما الأخ أوليفر، الذي أرسله الدوق فريديريك إلى الغابة لمطاردة أخيه أورلاندو، فينفذه شقيقه أورلاندو من أفعى ضخمة، ويصبح نادماً على سلوكه السابق ويقع في حب ألينا (ابنة الدوق فريديريك). محبطاً من ألم حبه لروزاليند، أورلاندو لا يستطيع مواصلة التودد إلى جانيميد/روزاليند، لذلك يعده جانيميد/روزاليند بأنه سوف يستحضر روزاليند الحقيقية وأن جميع العشاق سيتزوجون أخيراً، وهو ما يحصل في المشهد الأخير ويشكل النهاية السعيدة للكوميديا الرومانسية "كما تشاء".

إن التشابه الكبير والتقارب الشديد بين المسرحية ومصدرها الرئيسي يفرض على القارئ أو الباحث أن يلاحظ القيمة الفنية العظيمة للتعديلات، حتى الطفيفة منها، التي أجراها شكسبير على الأصل. بداية، باختصار، يمكننا القول أن جميع الخطوط الدرامية مأخوذة من رواية لودج، وهذه تشمل حبكة العداء بين الدوقين، والشجار بين أورلاندو وأوليفر، وقصة علاقات الحب بين أورلاندو وروزاليند وأوليفر وسيليا وسيلفيوس وفيبي. في الرواية/الأصل، يكون Rosader (أورلاندو) هو الإبن المفضل عند أبيه على الرغم من أنه الإبن الأصغر، ويكون نصيبه الحصة الأكبر من الميراث مقارنة بإخوته. في المسرحية، يلغي شكسبير هذا التفصيل الذي يكون المحرض/الدافع عند أوليفر، الأخ الأكبر، لحسده وكرهه لأخيه. عند شكسبير، الدوق فريديريك، المغتصب، والدوق سينيور، المنفي في الغابة، شقيقان، بينما لا يرد أي ذكر للقرابة بينهما في رواية لودج، مما جعل علاقة الصداقة القوية بين روزاليند و أليندا (سيليا) في الأصل غير مفهومة، وبالتالي تبقى العلاقة القوية بينهما غير مبررة. عند لودج، ينفي الدوق المغتصب فريديريك روزاليند، ومن ثم، وفي نوبة غضب عارمة، ينفي ابنته التي تتدخل لتدافع عنها. أما شكسبير فيجعل من إخلاص سيليا و غريبتها على روزاليند، وقرارها أن تذهب طواعية إلى المنفى مع ابنة عمها، عنصراً درامياً إضافياً مثيراً، ودافعاً مبرراً للبحث عن سيليا، الذي بدوره ساهم في تسريع حركة الأحداث وتطور حبكة الدرامية. في رواية لودج، يقترح Saladyne (أوليفر) على أخيه أورلاندو أن يشارك في مسابقة المصارعة التي تجري في القصر ضد مصارع

الوئام يعطي أجمل النتائج، وأن التفاهم والانسجام بين الإخوة أكثر قوة من الثروة". هذا الدرس الأخلاقي أو العبرة التي يريد الكاتب إيصالها للقارئ لا تأتي على ذكر أي شيء عن مواضيع العلاقة بين الرجل والمرأة، بل تركز فقط على العلاقة بين الإخوة، ويتم التقليل من أهمية الأدوار النسائية في الحبكة.

أما شكسبير فابتكر حلاً أكثر سلمية يتلخص في التحول الذي يطرأ على شخصية الدوق الشرير فريدريك، ومن ثم توبته وتنازله النهائي عن ثروته وسلطته لأخيه؛ وفي مسار مشابه ينتهي الصراع بين الشقيقين أورلاندو وأوليفر. باختيار المسار الأقل عنفاً، يظهر شكسبير لنا أيضاً أن العرف الاجتماعي ليس فحاً لا مفر منه فقد أفلت أوليفر وأورلاندو منه، كما فعلت روزاليند عندما تكررت في ملابس الذكور. يجري شكسبير تغييراً جذرياً على الحبكة في المصدر ليضع التركيز الأساسي على أدوار النساء في مسرحيته، وكيف بإمكانهم أن يحدثوا التغيير، وكيف يتحركون ويؤثرون على عالم يهيمن عليه الرجال. وهنا يكسر شكسبير كل الأعراف إذ تختتم شخصية أنثوية المسرحية، وتحدث مباشرة إلى النساء داعية إياهن إلى الفعل. ويذهب شكسبير بالمسرحية إلى حد أنه جعل روزاليند تخاطب النساء من الجمهور أولاً، داعية إياهن إلى أن يقمن بدور فعال في المجتمع.

من الواضح أن شكسبير طوع مصادره الثلاثة ليبدع حبكة المسرحية الفريدة ويضع التركيز الأساسي على أدوار النساء. يُظهر شكسبير أن الحب يرتكز على السلوك المتبادل، وأن التفاعل بين الناس يساعد على جعل ما سيحدث في المستقبل ممكناً. أما عند لودج فإن التفسير الشائع لأفعال الشخصيات لا يتعدى مقولة أن "الطبيعة يجب أن تأخذ مسارها". وبينما يفرض لودج الجمود على تصرفات شخصياته لأنه يستند في توصيفها وتفسير أفعالها على فرضيات مطلقة، يفتح شكسبير الباب واسعاً على الاحتمالات والبدائل الممكنة. في هذا السياق، لاحظ أحد الباحثين أن كلمة "If" إذاً تظهر بشكل متكرر في هذه المسرحية أكثر من أي مسرحية أخرى لشكسبير (43 Kuhn). وفي المقابل، يفوق عدد كلمات مثل "الحظ" و"القدر" عدد حالات "if" في Rosalynde. يمكن أن نستنتج هنا أن شكسبير قد يكون أعطى مسرحيته هذا العنوان

الدوق (على أمل أن يقضي عليه مصارع الدوق الجبار). أما في المسرحية. فيقرر أورلاندو من حاله أن يشارك في المسابقة، وهو ما يعطي تفصيلاً مهماً عن هذه الشخصية منذ المشاهد الأولى في المسرحية. يضيف شكسبير تفصيلاً مهماً جداً هنا، غير موجود عند لودج، وهو أن روزاليند وابنة عمها سيليا تذهبان لمشاهدة المسابقة (قبل حادثة النفي بالطبع)، وتكون تلك هي المناسبة التي تلتقي فيها روزاليند مع أورلاندو، ويبدو أنه ينشأ بينهما حب من النظرة الأولى. وأما خلال رحلتها في الغابة، فتلتقي روزاليند وابنة عمها بمجموعة متنوعة من الشخصيات التي لا تُنسى، ولا سيما شخصية المتشائم الحزين جاكويز، الذي، على لسانه، يقول شكسبير العديد من العبارات والأشعار والحكم الشهيرة، مثل "كل العالم مسرح، والناس فيه ممثلون"، و "أحمق! أحمق! قابلت أحمقاً في الغابة". ويقدم شكسبير من خلال هذه الشخصية مفارقات حادة مع الشخصيات الأخرى في المسرحية ترتبط بفلسفته وآرائه المختلفة حول الحياة عموماً، ومصاعب الحياة في البلاد بشكل خاص.

أما ما يخص فكرة المسرحية، يمكن أن نقول أنها في كل من Rosalynde و Tale of Gamelyne تدور حول فكرة سرقة الميراث ولكن بطريقة قاتمة ودموية وعنيفة، بينما يختار شكسبير النوع الكوميدي لتفحص هذه القضية وتشرحها. ، ويقوم بالتعديلات والتغييرات على الشخصيات بحيث لا يلقي اللوم على الأشخاص المرتكبين لهذه الجريمة، بل على الأعراف الاجتماعية التي توجه أفعالهم. في "حكاية غاملين"، يأخذ الأخ ميراثه ظلماً، ويهرب إلى الغابة ليخطط للانتقام من أخيه ويشنقه في النهاية. بالنسبة إلى لودج، الحل النهائي هو الحرب، ويفوز المحروم بالثروة التي اعتبرها ملكه منذ البداية. ومن ناحية أخرى نلاحظ أن رواية Rosalynde تتمحور حول اهتمامات الذكور فقط في القصة، بل يبدو أن القصة بأكملها موجهة حصرياً للرجال، وهو ما يظهر بشكل صارخ في مقدمتها التي تبدأ على الشكل التالي: "To Gentleman Readers"، وطوال القصة، يتجاهل لودج توجيه أي خطاب للنساء. وحتى في الفقرة الأخيرة من الرواية يؤكد لودج تركيزه على الرجال: "هنا أيها السادة قد ترون في [Rosalynde]، أن إهمال مبادئ الآباء يجلب الكثير من الظلم والإجحاف؛ وأن

V. خاتمة

إن دراسة موجزة لمسرحية من مسرحيات شكسبير ومقارنتها مع مصادرها تُظهر كيف ينجح شكسبير باستخدام المصادر الأساسية لمسرحياته، وحتى الظروف المادية والتاريخية التي عمل فيها، ويطوّعها لخدمة أهدافه الإبداعية. في مسرحية "كما تشاء"، على سبيل المثال، نلاحظ كيف تعامل شكسبير مع حكاية قصيرة من العصور الوسطى "The Tale of Gamelyne"، وقصائد شعبية أسطورية تدور حول شخصية بطل أسطوري مظلوم وخارج عن القانون (روبن هود)، وأيضاً رواية موجهة للرجال "Rosalynde"، وحولهم جميعاً إلى مسرحية بارعة ومسلية حول المرأة والدور الذي يمكنها أن تلعبه في المجتمع عندما تتحرر من القيود التي يفرضها عليها المجتمع الذكوري الذي تعيش فيه. ومن خلال تفحص قضية السلطة والشرور التي تنجم عن الصراع من أجلها، يُعزّي شكسبير الظلم الفظيع الذي يلحق بالناس عموماً نتيجة سوء استخدامها. ويكشف من ناحية أخرى الشرور التي تتطوي عليها الأعراف الاجتماعية التي تحكم قضية الميراث التي تتسبب بإشعال نار الفتنة وينقلب بموجبها الإخوة إلى أعداء. توضّح التعديلات والتغييرات التي قام بها شكسبير على مصادره عبقرية الاستثنائية التي مكنته من استيعاب ثقافة عصور طويلة سابقة، وإبداعات الكثيرين ممن سبقوه، وإعادة إنتاجها بمقدرة شعرية وفنية وفلسفية فذة جعلت أعماله تعيش معنا حتى اليوم.

المراجع

- [1]. Baldwin, T. W., The Organization and Personnel of the Shakespearean Company, (New York: Princeton University Press, 1927). Print.
- [2]. Greg, W. W., Lodge's "Rosalynde" Being the original of Shakespeare's "As You Like It", (London: Chanto and Windus, 1997). Print.
- [3]. Pollard, Tanya. Shakespeare's Theater: A Sourcebook. New York: Wiley-Blackwell, 2004. Print.
- [4]. Stany, J. L., The English Stage: A History of Drama and Performance (Cambridge: CUP, 1996), Print.
- [5]. Thomson, Peter, Shakespeare's Professional Career (Cambridge: CUP, 1992). Print.
- [6]. Wiles, David, Shakespeare's Clown: Actor and Text in the Elizabethan Playhouse, 135. Print.
- [7]. Shakespeare, William, As You Like It, Edited by Agnes Latham (London: Routledge, 1996), Print.

"كما تشاء"، ليشير إلى أننا كبشر نمتلك خيارات متعددة لنرسم حياتنا كما نود أن تكون عليه بالفعل.

وبالحديث عن عبقرية شكسبير وحرفيته الفريدة في استخدام كل الظروف المحيطة بعملية إبداعه المسرحي، نلاحظ أن شكسبير قام بتعديل العدد الإجمالي للشخصيات الرئيسية في رواية توماس لودج الرعوية Rosalynde، من سبع شخصيات ليصبح تسع شخصيات. وليس من قبيل المصادفة البحتة أن هذا الرقم يتطابق تماماً مع عدد الممثلين في فرقة شكسبير بين منتصف عام 1599 و 1600 وهو التاريخ المفترض لكتابة المسرحية. باختصار: كتب شكسبير دوراً لكل ممثل من هؤلاء الممثلين. أضاف شكسبير شخصيتين رئيسيتين من الذكور إلى الشخصيات السبعة الموجودة في المصدر، لكن أهمها كان دور Touchstone الذي كتبه لروبرت آرمين، وهو الكاتب والممثل الكوميدي الذي انضم إلى فرقة شكسبير ليحل محل الممثل الكوميدي السابق ويليام كيمب، الذي انسحب من الفرقة في منتصف عام 1599. إن انضمام روبرت آرمين للفرقة كان مصدر إلهام لإبداع شكسبير لشخصية المهرج/المجنون Touchstone. روبرت آرمين نشر عمله Foole Upon Foole عام 1600، وفيه يميز روبرت آرمين بين نوعين من شخصيات الحمقى/المجنون: الأحمق "الطبيعي" و الأحمق "المصطنع". "الأحمق" الطبيعي "يشير إلى شخصية الرجل العادي الذي يكون اجتماعياً وهرمياً متدنياً ومضحكاً. أما شخصية الأحمق "المصطنع" فهي تحمل فقط اسم الأحمق، لكنها كان شخصية بارعة تتحدث دائماً بحكمة. تبنى شكسبير نظرية آرمين حول شخصية المهرج، واستخدم هذا التمييز لتطوير نوع ووظيفة جديدة للمهرج على المسرح. أظهر شكسبير البراعة والمهنية الاستثنائية في الطريقة التي تعامل بها مع ظروفه التاريخية والمسرحية، ونجح في ابتكار شخصية المهرج تانتشتون، واستخدمه لخدمة أغراضه الفنية الخاصة. ليس لدينا أي دليل على عرض مسجل لمسرحية "كما تشاء" خلال حياة شكسبير. ومع ذلك، يمكننا القول أن شخصيتي Touchstone و Jacques كانتا أساسيتين في تفاعل الجمهور مع المسرحية، وفهم معانيها وفلسفتها في ذلك الوقت، لأن الكثير من الترفيه والمتعة والحكمة والكوميديا يرتبط بهاتين الشخصيتين.

- [8]. Tolman, Albert H., "Shakespeare's Manipulation of His Sources in As You Like It", Modern Language Notes, Vol. XXXVII, 2 (February 1922): 65-76. Web. 25 June 2022.
- [9]. William Shakespeare, British Library, Web. 15th August 2022. <https://www.bl.uk/people/william-shakespeare>
- [10]. Shakespeare Sources, Britannica, Web. 15th August 2022. <https://www.britannica.com>.
- [11]. Questions of Authorship, Britannica, Web. 15th August 2022. <https://www.britannica.com>

JMU